سورة النصر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾

صدق الله العلي العظيم

أولا: محور السورة وموضوعها العام:

الإعلام بتمام الدين، اللازم عن مدلول اسمها النصر، والإشارة إلى فتح الفتوح الأعظم فتح مكة المكرمة، وانتصار النبي ﷺ على المشركين، وانتشار الإسلام في أرجاء الجزيرة العربية وانحسار ظلمة الشرك والوثنية، والإخبار بدنو أجل النبي ﷺ، وأمره بتسبيح ربه وحمده واستغفاره عند الفتوحات، وفي كل حين[٣].

ثانيا: مناسبتها للسورة التي قبلها (سورة الكافرون):

مناسبتها لما قبلها، أنه لما ذكر في السورة السابقة اختلاف دين الرسول صلى الله عليه واله الذي يدعو إليه، ودين الكفار الذي يعكفون عليه أشار في هذه السورة إلى أن دينهم سيضمحل ويزول، وأن الدين الذي يدعو إليه سيغلب عليه، ويكون هو دين السواد الأعظم من سكان المعمورة.

ثالثا: جمل السورة وأفكارها الجزئية:

- الجملة الأولى: (إذا جاء نصر الله والفتح) وهي جملة فعلية، وفكرتها أنها تتحدث عن البشارة الغيبية التي ستتحقق للنبي والمسلمين بفتح مكة والإخبار القرآني بها.

- الجملة الثانية: (ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا) وهي جملة فعلية، وفكرتها تتمثل في دخول الناس في دينك، وانضوائهم تحت لوائك جماعات لا أفرادا كما كان في بدء أمرك وقت الشدة.

- الجملة الثالثة: (فسبح بحمد ربك واستغفره) وهي جملة فعلية، وفكرتها أي إذا أتممنا لك كل ذلك، فنزّه ربك وقدّسه عن أن يهمل الحق، ويدع للباطل أن يتغلب عليك، واسأله أن يغفر لك ولمن اتبعك من أصحابك لما كان منهم من القلق والحزن والأسى إذا أخر مجيء النصر

الجملة الرابعة (إنه كان توابا) وهي جملة اسمية وفكرتها أي أنه سبحانه كثير القبول لتوبة عباده لأنه يريد [illegible]

[illegible] تبلغ الفتح وتحقق النصر.

السرّ في أن لفظة (جاء) لم تأتِ في القرآن إلاّ بهذه الصيغة، بخلاف لفظة (أتى) فقد جاء الماضي منها والمضارع والأمر ، فقد جاء في القرآن (أتى، يأتي، أتتِ، يأتون، فأتنا، فأتوا) بخلاف اللفظة الأخرى التي لم تأتِ في القرآن إلاّ بصيغة المضارع ولا مراء في أن لفظة (يأتي) أخف من لفظة (يجيء) فهذا فارق بينهما يتعلق بالجانب الإيقاعي، بيد أن هذا الفارق لا يكاد يُذكر أمام الفروق المعنوية بين اللفظتين، فقد اختصت كل واحدة منهما بمعاني لا تشاركها الأخرى فيها، يدل على هذا الأمر استعمال القرآن لهاتين اللفظتين في مقامات متعددة، وفي سياقات مختلفة، ومن خلال استقراء لتلك المقامات، والنظر في تلك السياقات تتبين بعض الفروق بين هاتين اللفظتين.

ومن هذه الفروق ما يلي :

(١) أن لفظة (جاء) تأتي - غالباً - مع الأعيان والأمور المشاهدة المحسوسة، بخلاف لفظة (أتى) فإنها تأتي مع المعاني المعنوية التي لا تُشاهد، يدل على هذا أمثلة كثيرة من كتاب الله، ومن ذلك قوله { ولمن جاء به حمل بعير ... } [يوسف : ٧٢] ، يعني صواع الملك؛ وهو عين، وقوله { وجاءوا على قميصه بدم كذب ... } [يوسف : ١٨] (٥)، ولهذا فرّق بينهما - سبحانه - في قوله { قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون * وأتيناك بالحق وإنا لصادقون } [الحجر : ٦٣ - ٦٤] فقد جاءت لفظة { جئناك } ؛ لأنها للعذاب وهو مشاهد، بخلاف { الحق } فليس مرئياً فجاءت معه لفظة { أتيناك } .

(٢) ما قام به أحد الباحثين باستقراء مواضع كل من (جاء) و (أتى) في القرآن الكريم، وبعد نظر وتأمل لهذا الاستقراء في مواضعهما توصل إلى أن (جاء) لا تُستعمل في القرآن إلاّ دليلاً على القرب، سواء كان هذا القرب زمانياً أو مكانياً بخلاف لفظة (أتى) فإنها لا تُستخدم في القرآن إلاّ دليلاً على البعد، سواء كان هذا البعد، زمانياً أو مكانياً أو نفسياً، ثم ذكر بعد ذلك الشواهد الكثيرة من القرآن التي تؤيد ما ذهب إليه، ومن هذه الشواهد قوله { فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً } [مريم : ٢٧]، فقد أقبلت عليهم به من مكانها القصي البعيد، فعُبِّر عن ذلك بلفظة { أتت } ثم قالوا منكرين عليها بلفظة { جئت } ؛ لأنها حينما وصلت إلى قومها كان عيسى قريباً منهم، فقد كانت حاملته بين يديها، ومن الشواهد - أيضاً - قوله تعالى { وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن... } [يوسف : ٥٠] فقد جاءت - أولاً - لفظة { أتى }؛ بسبب ما بين مكان يوسف ومكان الملك من بعد؛ إذ كان يوسف في السجن، وما أبعد السجنَ عن قصر الملك، ثم جاءت - ثانياً - لفظة { جاءه }؛ وذلك لقرب يوسف وقتها من الملك، فقد كان ماثلاً بين يديه، ومن الأمثلة - أيضاً - على ذلك قوله - تعالى - في حديثه عن القرآن { لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد } [فصلت : ٤٢] فقد جاءت هذه اللفظة { لا يأتيه }؛ وذلك لبعد

٣. ومن الفروق بينهما : ما قام به أحد الباحثين - أيضاً - من استقراء لمواضع كل من (جاء ، وأتى) في القرآن، من خلال النظر في مواضعهما، والغرض الذي سيقتا له، مستصحباً معه دلالتهما، فبعد نظر وتأمل اهتدى إلى أن بين اللفظتين فوارق دقيقة تتضح بجلاء من خلال سياق كل واحدة منهما، وخلاصة هذا الفرق: أن (الإتيان) تحيط به ثلة من الغموض والشك والجهل وعدم القصد، في حين أن (المجيء) تحيط به ثلة من معاني العلم واليقين وتحقق الوقوع، ثم ذكر شواهده على ذلك من الكتاب العزيز، ومن ذلك ما ذكره - تعالى - في قصة موسى مع فرعون ، فإن فيها خير شاهد - كما يقول - على ما ذهب إليه من معنى الشك في (الإتيان)، واليقين في (المجيء) يقول تعالى : { فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون * فلما أتاها نُودي من شاطىء الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة ...} [القصص : ٢٩ - ٣٠] ، ويقول في موضع آخر { إذ قال موسى لأهله إني آنست ناراً سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون * فلما جاءها نُودي أن بُورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين } [النمل : ٧ - ٨] ، فقد جاء في الموضع الأول { فلما أتاها }، وفي الموضع الثاني { فلما جاءها }، وسبب هذه المغايرة اختلاف المقامين بين الشك واليقين، ففي سورة (القصص) سبق الإتيانَ شكٌ ورجاء، يدل على ذلك قوله { لعلي آتيكم } في حين سبق المجيءَ عزم ويقين في قوله { فلما جاءها }، ومن الشواهد على هذا - أيضاً - قوله - تعالى - { قال إنْ كنتَ جئتَ بآية فأت بها إن كنت من الصادقين } [الأعراف : ١٠٦] فالمجيء في الآية ذُكر في حق موسى ، وقد كان مستيقناً من هذه الآية، أما الإتيان بها فقد كان طلباً من فرعون على وجه التحدي، يدل على شك في نفسه كما يدل عليه قوله { إن كنت من الصادقين .

* ومن الشواهد على مجيء كلمة (جاء) في الأمور المحقق وقوعها اليقينية قوله - تعالى - { وجاء ربك والملك صفاً صفاً } [الفجر :٢٢] وقوله { وجيء يؤمئذ بجهنم...} [الفجر :٢٣]، وغيرها من الآيات التي تدل على هذا الأمر .

وقيل أيضا : إن الاتيان هو مجيء بسهولة بخلاف المجيء الذي يصطحبه شدة ومشقة ، فالقرآن الكريم يستعمل أتى لما هو أيسر وأخف من جاء يعني المجيء فيه صعوبة بالنسبة لأتى ولذلك يكاد يكون هذا طابع عام في القرآن الكريم ولذلك لم يأت فعل جاء بالمضارع ولا فعل الأمر ولا إسم الفاعل .

قال تعالى (فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ) شديدة

وقال تعالى (فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى) شديدة أيضا

وقال تعالى (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) لم يقل (جاءك) الغاشية لأن حديث الغاشية أخف وأيسر من مجيء الصاخة والطامة .

وقال تعالى : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) هذا أمر عظيم لأن نصر لا يأتي بسهولة وإنما بحروب ومعارك

وقوله تعالى : (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا) فهو نائم يمر عليه وهو لا يعلم، لم يكن شيئاً مذكوراً أي قبل وجوده لم يكن شيئاً مذكوراً ، وهنالك من قال لم يكن شيئاً لا مذكوراً ولا غير مذكور وقسم قال كان شيئاً و لم يكن مذكوراً كان لا يزال طيناً لم تنفخ فيه الروح ففي الحالتين لا يشعر بمرور الدهر فاستعمل أتى .

إذن الإتيان والمجيء بمعنى لكن الإتيان فيه سهولة ويسر أما المجيء ففيه صعوبة وشدة (يقولون السيل المار على وجهه يقال له أتيَ مرّ هكذا يأتي بدون حواجز لأنه سهل) ((حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ)) ليس هنا حرب

(وَجَاؤُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ) هذه فيها قتل .

٣. الفارق بين الرؤية والنظر وسر مجيء الفعل (رأى) بدلا من (نظر) في قوله : (ورأيت الناس ...) ؟

والفارق بين الاثنين : أن النظر طلب الهدى، والشاهد قولهم نظرت فلم أر شيئاً، وقال علي بن عيسى النظر طلب ظهور الشيء، والناظر الطالب لظهور الشيء والله ناظر لعباده بظهور رحمته إياهم، ويكون الناظر الطالب لظهور الشيء بإدراكه من جهة حاسة بصره أو غيرها من حواسه ويكون الناظر إلى لين هذا الثوب من لين غيره، والنظر بالقلب من جهة التفكر والأنظار توقف لطلب وقت الشيء الذي يصلح فيه قال والنظر أيضا هو الفكر والتأمل لأحوال الأشياء ألا ترى أن الناظر على هذا الوجه لابد أن يكون مفكراً والمفكر على هذا الوجه يسمى ناظراً وهو معنى غير الناظر وغير المنظور فيه ألا ترى أن الإنسان يفصل بين كونه ناظراً وكونه غير ناظر، ولا يوصف القديم بالنظر لأن النظر لا يكون إلا مع فقد العلم ومعلوم أنه لا يصلح النظر في الشيء ليعلم ألا وهو مجهول، والنظر يشاهد بالعين فيفرق بين نظر الغضبان ونظر الراضي، وأخرى فإنه لو طلب جماعة الهلال ليعلم من رآه منهم ممن لم يره مع أنهم جميعاً ناظرون فصح بهذا أن النظر تقليب العين خيال مكان المرئي طلبا لرؤيته، والرؤية هي إدراك المرئي، ولما كان الله تعالى يرى الأشياء من حيث لا يطلب رؤيتها صح أنه لا يوصف بالنظر.

الفرق بين النظر والرؤية قيل: الفرق بينهما أن الرؤية هي : إدراك المرئي والنظر : الإقبال بالبصر نحو المرئي. ولذلك قد ينظر ولا يراه، ولذلك يجوز أن يقال لله تعالى: إنه، راء ولا يقال: إنه ناظر. وفيه نظر .

فهل يفهم من هذا أننا حين نقول رأيت الشيء أي أدركته ببصري، بينما إذا قلنا : نظرت إلى الشيء أي تتبعته